أرجوزة ابن أبي الشمال
في
مدح الوصي والآل

إعداد الفقير إلى عفو الملك القدير
إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات مركز الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بالغزل العفيف

قُمْ نشربِ الرَّاحَ فُوَيْقَ النَّهْرِ   مـا بـينَ روض وغـدير يجـري
على بساط من فنون الزهرِي   مع فتية مثل النجوم الزهرِ[1]
وغادة تكسف نور البدر

اليومَ يومُ العيدِ بالنيروزي   نشربُ على بنفسج مغروزِ[2]
وغنِّ لي بالطارِ والنَّاروزي   مع فتية كقدها المهروزي[3]
غصنٌ لجينٌ مثلُ نور البدري

ذات جبين كالصباح عاج   تحت ثياب كالظلام داجي
وذات لحظ كالحسام ساج   ونور شمس قد علا بتاج
مشرقة بعد طلوع الفجرِ

أحسن من ليلى وأزكى نسبا   أسعد من سعدى وأعلى رتبا
أجمل من عليا وأوفى حسبا   ولم أزل في عشقها معذبا
أشكو تباريح الهوى في شعري

يَتعبُ مَن يعشقُ من عُربِ الفَلَا   ويندُبُ الراحَ إذا الرِّبْعُ خَلَا
ويَتبعُ الضَّعنَ إذا ما رحَلَا   وتغتذي بالنبتِ من عُشْبِ الفَلَا
مُرَوَّعٌ بالبينِ كُلَّ شهرِ

وإنّ عشقي لفتاةٍ تُعشقُ   مَنْ خدُّها موردٌ مقرطقُ
والحجلُ منها صامت لا ينطقُ   لكنما الوشاح منها يقلقُ
ثقيلة أردافها كَوزْري

---

[1] جناس تام بين الزَّهر بفتح الزاي المعجمة: وهي النبات أو نوره أو الأصفر منه، وبين الزُّهري بضم الزاي المعجمعة وهي الحسنة النيرة، وهو تشبيه للفتية بالنجوم في الحسن والبهاء.

[2] النيروز: أول يوم من السنة. والمغروز: نبت كالإذخر، ونسخة المعزوز: وهي الأرض الممطورة.

[3] القدَّ: القامة والإعتدال، والمهروز: هو المغموز، أي لنعومة القامة وحسنها ولينها.

رخيمـــة الـــذيل دقيـــق خصـــرها		زُليخـــة الحســـن وقلبـــي مهرهـــا
دام علينـــا عزهـــا ونصـــرها		أرفـــع مـــا بالجـــامعين قصـــرها

حورية لا من عريب البري

حوريـــة فـــي طرفهـــا احـــورار		المـــاء فـــي وجنتهـــا والنـــار
يغـــيص فـــي معصـــمها الســـوار		يضـــيق عمـــا خلفهـــا الإزار

تقول في خطرتها وا خصري

لحـــظ المهـــاهي والطـــلا غزالـــة		تهـــزأ بـــالهلال والغزالـــة
كأنمـــا جفونهـــا غزّالـــة		كســـب معـــالي حســـنها جمالـــة

مصرية معتلة بالسحرِ

أحســـن أســـماءِ الغـــوانيَ اســـمها		وأوفـــر الخلـــق جمـــالاً قَســـمها
ســـحارة فـــي طرفهـــا طلســـمها		أنعـــم مـــن مـــس الحريـــر جســـمها

شريت منها ليلة بعمري

لـــم أنـــس لمـــا قربتنـــي عنـــدها		وحـــل ضـــم الإعتنـــاق بُنـــدها
ووســـدتني كفهـــا وزِنـــدها		ســـلطانة يضـــحي الملـــوك جنـــدها

لكنما فؤادها في أسري

بتنـــا ومـــن طيـــب لُماهـــا راحُ		ومـــن لآلـــي ثَغرهـــا إقـــاحُ
ومـــن جنـــى خـــدودها تفـــاحُ		ومـــن ســـنا جبينهـــا مصـــباحُ

وكان منها خضرتي وخمري

التخلص من الغزل

يــا طيبهــا مــن ليلــة وكنــا　　　شمســاً وبــدراً جمعــت لمعنــى

هــذا وقــد غــاب الرقيــب عنــا　　　والحــب مــن فــرط الســرور غنــى

وقال يا عين اهجعي وقَري

هــذا وأطــراف الحيــا مُنْكَفَّــة　　　عنــا كأنــا بعــض أهــل الصَّــفَّة

ترفــل فــي ثــوب التقــى والعفّــة　　　وعفتــي زهــد بغيــر حرفــة

لكنها طوعي وتحت أمري

حتــى تــولى الليــل عنــا وانقضــى　　　وأصــبح الصــبح علينــا وأضــا

كأنمــا هــو ذو الفقــار المنتضــى　　　بكــف مولانــا علــي المرتضــى

مفرق الأحزاب يوم عمري

أولاً: غزوة الأحزاب وقتل عمرو بن ود

يــوم أتــى عمــرو بــن ود العــامري　　　بجيشــه شــبه الهزبــر الزائــري

مــن فــوق طَــرف كالقطــاة ضــامرِ　　　يخطــر بــالجيوش والعســاكرِ

تسعين ألفاً كالغمام تسري

لمــا بــدا لاح عليــه الســحقُ　　　فمــذ رآه المســلمون أطرقــوا

وأشخصــت أبصــارهم وأحــدقوا　　　واجتمعــوا مــن حولــه وخنــدقوا

وبات أهل طيبة في ضرِّ

فحــاط بــالجيش علــى البطــاح　　　وضــجت الأصــوات بالصــياح

واعتنقــوا بالســمر والصــفاح　　　حتــى بــدا الإشــراق بالصــباح

وحاطت الخيل بكل قطرِ

فطبــق الخنــدق عمــرو بــالفرس　　　كأنــه ليــث الشــرى إذا افتــرس

وفــي اليمــين صــارم شــبه القبــس　　　فضــاق مــن خيفتــه كــل نفــس

واعتصموا من بأسه بالطهرِ

وقــال هــل مــن بطــل مبــارز　　　مــن بــين أصــحابك أو منــاجز

يكون عند الضرب غير عاجز اليوم يوم الروع والهزاهز

وأظهر العناد والتجري

مناداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين بالمبارزة

فعندها قام النبي المصطفى وقال في أصحابه بلا خفا

من يبرز اليوم وبالوعد وفا يكون يوم البعث من أهل الصفا

ويسكن الخلد جوار قصري

فلم يجبه أحد من البشر وانخلعت قلوبهم من الحذر

لما رأوا عمراً تعدى وكفر وصال فيهم صولة ثم اشتهر

وجال في الميدان فوق المهر

وازدحمت مواكب الأحزاب كأنهم شبه أسود الغاب

يواصلون الطعن بالضراب وضيقوا الآكام والروابي

بكل ذيال شديد الظهرِ

وقالت المنافقون النصبة لما رأوا جموعهم محتزبة

قد عزنا الله بهذا الجلبة أولا فأين النصر أين الغلبة

وبدلوا من دينهم بكفر

إجابة علي عليه السلام

فعند هذا نهض الرسول ودمعه من عينه يسيل

وقال يا رباه يا جليل يا رب نصراً فأتى جبريل

وقال وهو بالسلام يقري

أبرز علياً فاتح الجنانِ قاتل أهل الشرك باليماني

فإن رب العرش والمثاني يحب أن يراه في الميدانِ

يفتك في جهاده ويفري

فعندها قال احمد أين علي أين الوصي أين الوفي أين الولي

مشاركي في مسجدي ومنزلي مكفني ومُغسلي ومُلحدي

ووارثي وناصري وصهري

أيـن ابـن عمـي أيـن مصباح الـدجى　　أيـن الـذي مـن حبـه فقـد نجـا

أيــن الإمـام المرتضـى كنـز الرجـا　　أيـن الـذي يعرفـه أهـل الحجـا

سيفي ورمحي وأخي وسري

فقـــال لبيـــك رســـول الله　　لبيـــك يـــا آمرنـــا والنـــاهي

لبيـك يـا كنـزي وعظـم جـاهي　　لبيـك يـا مَـن مـا لـه مضـاهي

لبيك ألفاً يا مطاع الأمرِ

قل ما تشا فقال: يا بحر الضما　　أخبرنـي جبريـل عـن رب السـما

أبــرز عليــاً إنــه حــامي الحمــا　　وقاصــم الأبطــال قهــراً بالــدما

فقال سمعاً يا مطاع الأمرِ

فضــمه إليــه ضــم الشــفقة　　وعينــــه مــــن الــــدموع مغرقـــة

وشـــد منـــه وســـطه بالمنطقـــة　　ثـــم أتـــى بدرعـــه والدرقـــة

ودرعه وجه بغير ظهرِ

وقـــام مـــن ســـاعته بـــين المـــلا　　وقـال يـا رب السـموات العلـى

انصــر عليــاً إنــه عِقــد الــولى　　وإنــه كاشــف كربــي والــبلا

أصلح به أمري وشد أزري

خروج علي عليه السلام لمبارزة عمرو

فســـــار مولانـــــا وجبرائيـــــلُ　　يمينـــــــه كـــــان وميكائيـــــلُ

يســـــاره كـــــان وعزرائيـــــلٌ　　أمامـــــه والملـــــك الجليـــــلُ

يمده منه بسيف النصرِ

فقــال عمــرو منشــداً وقــد عتــا　　مـن أنـت؟ قـال المرتضـى أنـا الفتـى

أنـا الـذي مـدحي أتـى فـي هـل أتـى　　وأنــت يــا ملعــون حتــى ومتــى

تلقى الوغى معجباً بالكفرِ

فصـاح عمـرو أنـت مـردي ولـدي　　أنـت الـذي جعلـت طـوقي عُمُـدي

أنت الذي أخرجتني من بلدي لأخضبن اليوم سيفي ويدي
منك عسى أشفي غليل صدري
لآخذن اليوم منك ثاري وأكشفن بالحسام عاري
أولا فلا عزّ نزيل داري ولا أضت للطارقين ناري
ولا دعيت في الوغى بعمروِ
لما رآه راجلاً أبدى الغضب وانحط عن ظهر الجواد وانقلب
وجرد السيف الصقيل وضرب حصانه أبرى العظام والعصب
وجره من كفره للنهرِ

تصوير خيالي بديع للمبارزة

وجال بالسيف على الإمام وهو شبيه الأسد الضرغام
والتقيا بالضرب في القتام واعتركا في موضع الزحام
والناس في شر وأي شرِّ
والتطما واصطدما وامتشقا سيفيهما وانتدبا وانطلقا
واتصلا وانفصلا وافترقا والتقيا وازدحما والتصقا
في موضع صعب شديد الوعرِ
فعندها صاح علي فانهزل وانتاشه بذي الفقار فانجدل
معفراً فوق الصعيد كالجبل وكبر الطهر ثلاثاً وابتهل
وثغره مبتسم بالبشرِّ
فضجت الأصوات والناس زمر والمرتضى تحت العجاج كالقمر
حمل فوق رأسه ثم بهر والمثل نحو مثله كذا أمر
وليس بعد الشك إلا الكفر
وأخته تقول من حر الكبد لو كان أردى لأخي غير الأسد
لكنت أبكيه على طول الأبد لكنما القاتل بيضة البلد
قد قام في ترك البكاء عذري
فصاح في أحزابهم ولوا فِرَق سبعة عشر فرقة لما زعق

تـراه فـي أعقـابهم سـير العنـق هــذا وكـــل فرقــة مـــن الفـــرق
والطهر في مكانه لم يسرِ

ثانياً: غزوة فتح خيبر وقتل مرحب

مقدمات الفتح

وبعــد ذا يتلــوه يـــوم خيبـــرِ وفتحــه ومـــا جـــرى مـــن حبتـــرِ
إذ فــر بالرايــة دون العســكرِ شــؤماً عليـــه مـــن جبـــان أبتـــرِ
يهرب وهو مسلم من عبري

فعنـــــدها وبخـــــه دلامـــــة وقـــال يـــا أحقـــر مـــن قلامـــة
وأظهـــر العتـــاب والملامـــة إتنـــــك لا تصـــــلح للإمامـــــة
فأعطني الراية حتى أسري

وانتاشــه فــي كفــه ثــم مضــى لمـــا بـــه وافـــا الـــوغى معترضـــا
مـــال عليـــه الخيبـــري كالقضـــا فضـاق مـن خـوف بـه رحـب الفضـا
ثم انثنى من ربحه بالخسر

ومـــرة كأنـــه ليـــث الشـــرى صـــاح بـــه صـــوتاً فـــولى مـــدبرا
مقهقـراً مـن خوفـه إلـى الـورى ومـا خشـي مـن خزيـه بـين الـورى
مذ عيّر الأول وهو مزري

إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفات فاتح خيبر

قـال النبي سـوف أعطي الرايـة غـــداً فتـــى بعـــدي لـــه الإمامـــة
فتـــــى دعـــــاه الله للهدايـــــة وربـــــه لـــــه بـــــه عنايـــــة
معوداً يوم الوغى بالنصرِ

فباتـت النـاس على فـرش الهنـا كـــل يقـــول ذلـــك الشـــخص أنـــا
ليبلــغ الفضــل وإدراك المُنـــى حتـــى بـــدا ضـــوء الصـــباح بالســـنا
وانكسر الليل بجيش الفجرِ

فقـــال أيـــن المرتضـــى وافـــاه مريضـــــة مـــــن رمـــــد عينـــــاه

بتفلـــة مـــن ريقـــه شـــفاه وقـــال يـــا أخـــي وقـــاك الله

سمائم الصيف وبرد القري

خذ هذه الراية يا مولى الورى وامض على اسم الله واقصد خيبرا

أنــت الثريــا ولهــذاك الثـرى فقـــام مـــن ســـاعته وكبـــرا

ثم مضى ووجه كالبدرِ

قتل علي لجماعة من فرسان اليهود قبل مرحب

لمـا رآه مرحـب أبـدى الغضـب وظنـــه ذاك الـــذي منـــه هـــرب

صاح به المولى علي زاكي النسب أنـــا علـــي ويـــك كشـــاف الكـــرب

اليوم أسقيك بكأس مرِّ

فـــثَمَّ وافـــاه إمـــام البـــررة بضـــربة فـــي رأســـه فعفـــره

فجـاءه مــن بعـد ذاك عنتـرة فقـــده بســـيفه والشـــجرة

فهل رأيت مثله في الدهر

ثــم أتــاه العنكبـوت كالجبــل علـــى هجـــين قلـــة مـــن القلـــل

فانتاشه وانتاش أخفاف الجمل كلاهمـــا صـــارا علـــى كـــف البطـــل

شبيه عصفور بكف صقرِ

قـال لـه الشـفيع يـوم العـرض بـــالله يـــا صـــنوي وقاضـــي فرضـــي

إرمهمـا رماهمـا فـي العـرض فاختلطـــا بعضـــهما فـــي الـــبعض

وأصبحا زاداً لوحش البرِّ

فضـجت الأمـلاك بالتهليـل والحمـــد للمهـــيمن الجليـــل

وأعلـــن اليهـــود بالعويـــل يبكـــون مـــن عـــين علـــى القتيـــل

ثم التجوا بمرحب في القصرِ

التجاء اليهود بمرحب

قـــالوا لـــه يـــا ملـــك اليهـــود يـــا ابـــن الغطـــاريف الكـــرام الصـــيد

يـــا صـــاحب الرايـــات والبنـــود وقائـــد الجيـــوش والجنـــود

ألا ترى نجل النجوم الغرِّ

وكـان مشـغولاً بشـرب الـراح　　　مـع الحسـان الخـرد المـلاح
فبـدل الأفـراح بـالأتراح　　　وقـال إئتـوني إذاً سـلاحي

وأسرجوا من بعد ذاك مهري

فجـآءت الأم بأصـناف العـدد　　　بـالبيض والسـمر الصـفاح والـزرد
من نسج داوود كثير في العدد　　　واعتقـل الـرمح الطويـل والعمـد

ومغفراً وجاوناً من صخر

ثـم بـدا يميـل فـوق السـرج　　　والنـاس فـي رهـج وأي رهـج
حتـى إذا صـار ببـاب السـرج　　　مشـمراً عـن ذيلـه والفـرج

وأمه ناشرة للشَّعَرِ

يقـول يـا حزنـي وعظـم كربـي　　　عليـك يـا مرحـب هـذا نـدبي
إيـاك أن تلقـاه يـوم الحـرب　　　حيـدرة يرديـك عنـد الضـرب

إن اسمه في كُتْبنا والسفرِ

فقـال للخـلان كالمعاتـب　　　مـا بالهـا ناشـرة الـذوائب
تخبرنـا بالويـل والمصـائب　　　لأتـركن اليـوم ليـثَ غالـب

ملفلفاً بين القنا والبتري

ارتجاز مرحب وجواب علي عليه السلام عليه

وسـار حتـى صـار فـي البيـداء　　　رأى الإمـام حامـل اللـواء
فـانثنى مرحـب فـي الهيجـاء　　　يعلـن بالأصـوات والنـداء

مناشداً بقوله في الشعرِّ

قـد علمـت خيبـر أنـي مرحـب　　　شـاكي السـلاح بطـل مجـرب
أضرب بالسيف ولسـت أهـرب　　　بـين لنـا اسـمك حـين تنسـب

فقال إني من مِنى والحجر

سـميت فـي تـوراتكم أليـا　　　حقـاً وفـي الإنجيـل صـارميا
وفـي الزبـور سـيداً بريـا　　　وفـي كتـاب المصـطفى وليـاً

إن كنت لا تدري فسوف تدري

فقال ما اسمك عند الفترة　　قال أمير المؤمنين قسورة
فقال هل ثاني فقال حيدرة　　قال فهل ثالث قال كمدرة

فارتج في الحال لفرط الذعر

فراح لما خاف من صرف　　وقال إني سوف آتيك غدا
لقِيه إبليس كحبر قد بدا　　وقال هل تجزع من حرب العدى

فرده بخدعه والمكر

فصاح إبليس لك المسرة　　دونك هذا يا صبيح الغرة
قال الإمام ويك يا ابا مرة　　مالك عندي غير هذي المرة

بلى وفي الخندق يوم عمرو

فجاءه مرحب يسعى في عجل　　فمذ رآه أحمد عنه سأل
قال له شخص رأيناه حمل　　في كفه في حومة الحرب جمل

ينصبه ترساً لضرب البتر

بداية المعركة وفتح الباب

قام أحمد باسط يديه　　وقال وهو بالدعا لديه
فحين جال المرتضى عليه　　يا رب فانصر حيدراً عليه

جاوبه مرحب كالهزبرِ

واشتبكا واعتركا واصطدما　　والتقيا وافترقا والتزما
واتصلا وانفصلا واقتحما　　وضجت الأملاك في أفق السما

وقد أحس مرحب بالقهرِ

وقال لما ورد الحمام　　هل لي مجير منك يا إمام
قال نعم يجيرك الإسلام　　قال فما أسلم يا همامُ

فاقض بما شئت وخل زجري

فعنده قام الإمام وانتدب　　جد الركاب بالرقاب واقترب
وجرد السيف الصقيل وضرب　　هامته بذي الفقار فانقلب

معفر الخد خضيب النحرِ

الــرأس والجــاون واللســان والــدرِع والمغفــر والبنــان

والســرج واللبــد مــع الحصــان كلاهمــا قَسْــمُهما شــطران

وغاص في الأرض بقدر شبر

فحــين أردى مرحبــاً لمــا طغــى معفــراً فــوق الصــعيد فــي الوغــا

كبــر جبريــل وقــال مُبْلِغَــا لا سيف إلا ذو الفقــار فــي الوغــا

ولا فتى غير علي الطهرِ

فجــت الأمــلاك والنــاس معــا والمرتضــى كالبــدر لمــا طلعــا

لمــا رأوه للعــين قطعــا حبــر يخــوض فــي الــدما منصــرعا

أعجب بتلك مدحة لفخرِ

ثــم دحــا البــاب وفــوق الخنــدق مــن غيــر عجــز لجــواز الفيلــق

وأعــوزت أطرافهــا أن تلتقــي فتمهــا بزنــده والمرفــق

ومدها بكفه كالجسر

رافــع ديــن الله بالحســام وناصــب الرايــات والأعــلام

أشــياخهم جــاؤا علــى الإســلام مصــائب عمــت علــى الأنــام

كأنما إسلامهم عن مكرِ

ختام الأرجوزة

قــد لبســوا الظلــم علــى العبــاد فــي كــل إقلــيم وكــل نــادي

والــرفض للأئمــة الزهــاد وخــالفوا قــول النبــي الهــادي

وبدَّعوا أربعْ مذاهب تجري

ولــيس هــذا مــذهبي ودينــي ولا اعتقــادي لا ولا يقينــي

دينــي ديــن الصــادق الأمــين محمــد والأنــزع البطــين

وآله الغر ولاة الأمر

ولم نكن نجمع إلا في علي لا فــي أبــي بكــر ولا فــي نعثــل

وراح منهــا عمــر بمعــزل واختصــها حيــدر بــالنص الجلــي

وإنني أوضحتها كالبدر

مـولاي يـا مـولاي يـا أبـا الحسـن		يـا موضـحاً حكـم الفـروض والسـنن
إليكـــــم ودي وإلا فلمـــــــــن		وحبكـــم يكـن ضجيعي في الكفـن

ومؤنسي في وحدتي وقبري

ألـيس قـد قـال أخـوك المنـــذر		مـن حـب شـيئاً فهـو معـه يحشـر
فـإنني أهـــواكم يـا حيـــدر		وأرتجيـــــكم و الإلـــه يغـــفر

لكل ما جنيته في عمري

يـا آل طــه أنتـــم ساداتـــــي		أرجـو بـأن تسمــــو بكـم درجـاتي
ويصفـــح الإلــه عــــن زلاتـي		لأنكـــــم يـا ســـادة السُـــراتي

أنتم أماني في الدُنا والحشر

بفضـلكم جـاء الكتــاب وحيـا		أتـا بـــه جبـــريل شبــه دحيـا
وذكــركم بــه القلــوب تحيـا		وعلمـــكم بـين الأنــــام محيـا

عند الصباح والمساء والظهر

يـا آل طــه أنتــم الكـــــرام		عليـــكم مـــن ربـــنا الســلام
مـا لا ح بـرق أو دجـى ظـــلام		أو غـــردت فـي روضـــها الحمـام

وناح شحرور وصاح قمري

تمت الأرجوزة العصماء، رحم الله قائلها وجزاه خيراً.